العـرب
فى فخاخ الوعود الشفوية
(القرار ٢٤٢ نموذجاً)

اسم الكتاب : العـرب فى فخاخ الوعـود الشـفوية (القـرار ٢٤٢ نموذجاً)
تأليف : د. عبد التواب مصطفى
الطبعة : الأولى
سنة النشر : ٢٠٠٧م – ١٤٢٧ هـ
الناشر : مركز يافا للدراسات والأبحاث – القاهرة

ص ب ٨٠٦ ـ المعادى – القاهرة ت / فاكس ٢٨٠٦٥٩٦ – ت/٢٧٨٢٤٠٣
الموقع على شبكة الانترنت الدولية : www.yafacenter.4t.com
E – mail : yafafr @ hotmail . com

ورد فى (الأثر) أن (المؤمن) لا يُلدغ من جحر واحد مرتين ، فما بالنـا نحن العرب والمسلمين، بتنا نُلدغ من الجحر ذاتــه (مــرات) مترادفــة ؟! وليس مرتين فحسب ، الأمر الذى جعل ألد أعدائنا يقولون: إن العــرب لا يقرأون – التاريخ خاصة – وإذا قرأوا فسرعان ما ينسون ، ثــم إنهــم لا يحسنون توظيف القليل الذى (قد) يتذكرونه .

لذا ، فإنى لا أتمثل – فى هذه المقدمة – الآية القرآنية الكريمة (وذَكــر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) ، وأرى أن شقيقتها (فذكر إن نفعت الذكرى) ، هى الأنسب فى هذا المقام .

منذ تسعة عقود ، اعترف الشريف حســين ، قائــد الثــورة العربيــة الكبرى: "كنا بدوا لا نفهم فى السياسة ، فخدعنا الإنجليز ، وجعلونا نوقع على ما لم نفهم ، وأتينا من الأعمال ما يستوجب الاعتذار والندم" [١] .

وفى ٢٠٠٦/٧/١٥ ، فى مؤتمر صحفى عالمى ، فى رحاب جامعة الدول العربية ، عقب اجتماع طارىء لوزراء الخارجية العرب ، بمناســبة إعــلان إسرائيل حرباً مفتوحة على لبنان، اعترف أمين عام جامعة الدول العربية : " إنضحك علينا ، خُدعنا ، كانت كل وسائل وآليات (الوساطة) ، و(الرباعية) ، و(خارطة الطريق) ، منومة ، ومخدرة ، وخادعة " . هكذا ، لم يتردد ، ولــم يستنكف السيد عمرو موسى أن يقول : " انضحك علينا " ! .

بداية .. ونهاية .. كلتاهما أدهى وأمر .

منذ غرر الداهية الفرنسى (ديلسبس) بالزعيم الوطنى الفلاح المتدين (أحمد عرابى) ، إذ تعهد الداهية للزعيم شفهياً ، بأنه لن يسمح للإنجليز بالمرور فى قناة السويس ، ولم يف بوعده ، وترك الإنجليز يحتلون مصر ، عبر قناتها .. وحتى وعد الرئيس الأمريكى جورج بوش (الصبى) ، بإقامة دولة فلسطينية ، بحلول العام ٢٠٠٥ ، هناك عشرات الوعود الشفوية ، الصادرة عن رموز الحركة الإستعمارية الغربية للعرب ، فرادى ومجتمعين ، لم يتم الوفاء بأى منها ، بل كانت تلك الوعود فخاخاً ، نصبت عمداً للإيقاع بالإرادة العربية ، وإسقاطها تباعاً ، وإضاعة الفرصة تلو الفرصة على العرب،كلما سنحت إحداها ، وأوشكوا أن ينالوا بعض حقهم .

تكررت اللدغات العقربية ، ونالت مراراً من الجسد العربى ، الذى – فيما يبدو – قد أدمن لدغات الجحر الاستعمارى (ذاته) ، أو ربما تبلدت ، وتعطلت حواس ذلك الجسد ، فلم يعد يستشعر ألماً لتلك اللدغات .

تستهدف هذه الصفحات – بالدرجة الأولى – إضاءة فكرة ، أو ملاحظة " تكرارية الوقوع العربى فى الخطأ ذاته " ، وربما تكون الإشارة إلى " التكرارية " ، أبلغ دلالة ، من الوقوف على كل حلقة (لدغة) ، من حلقات أو مرات " الوقوع فى الخطأ ذاته " بالتحليل أو التقويم .

هذا هو منهج الخطاب مع الأسوياء ، فيما أعتقد . ولا أزال أظن العرب كذلك ، ولا أزال متعلقاً ببعض الأمل فى أن تنهض ذاكرة هؤلاء ، وعزائمهم ، ولا أزال متعلقاً ببعض الأمل فى أن تنفع معهم الذكرى .

لا تعجب ، فإن الذكرى – التحذير من تكرار الوقوع فى الخطأ ذاته – لا تنفع مع من تبلدت مشاعرهم ، وتعطلت وسائل إدراكهم ، وأصابتهم علة (الزهيمر التاريخى والسياسى) .

قديماً ، قال الشاعر الحكيم : إذا لم تكُ الحاجات من همة الفتى ، فليس بمغن عنه عقد الرتائم بمعنى أنه إذا لم تنهض الهمة والإرادة ، تلقائياً ، ويستشعر المرء واجبه ، ويبادر إلى (إدراكه وأدائه) ، فلن يفيد معه أن تنبهه – مراراً – إلى ضرورة فعل ذلك ، ولن يجدى أن تعقد فتيلاً على أصبعه ، لتشده منه – للتنبيه – مرة بعد مرة .

التآمر من الخارج ، هذا واضح ؛ تصاحبه القرائن ، وتثبته الأدلة . والخيانة من الداخل ، هذه أشد وضوحاً ، غير أنها – الخيانة – ليست محل هذه الدراسة . وذلك لأسباب عدة :

أولاً : لأنها ملف قائم بذاته ، وإن شكلت عاملاً مساعداً / مشاركاً فى إيقاع الاستعمار بالزعماء ، والشعوب العربية فى فخاخ الوعود الشفوية .

ثانياً : لايزال الخير باقياً فى أبناء الأمة ، ومن يقترفون (كبيرة) الخيانة هم القلة ، وإن كانوا ملوكاً وزعماء .

ثالثاً : لا يمكن أن نعد كل من أوقع به أعداؤنا – فى فخاخ غدرهم – خائناً ، ثم نسارع بجلده أو شنقه ، ويكفيه – بداية وحتى تتم محاسبته –

أنه (انضحك عليه) كما قال عمرو موسى، أو أنه (خُدع) ، كما قال الشريف حسين ، وعمرو موسى ، أيضاً . إن غايتنا من كتابة هذه الصفحات ، هى الحيلولة دون أن يخدعنا أحد ، بعد اليوم ، ودون أن (يضحك علينا) أحد ، مرة ثانية ... ثانية بعد المئة الماضية ! .

رابعاً : ما سبقت الإشارة إليه ، من أن هدف هذه الدراسة – أساساً – هو إضاءة فكرة (تكرارية وقوع العرب فى الفخ ذاته) ، وأما البحث فيما وراء ذلك من أسباب ، كالخيانة ، وخمول الذاكرة ، وضعف مهارات التفاوض وإدارة الأزمات ، والجهل بطبيعة العدو ، والحرص على متاع الدنيا (كراسى الحكم) ثمّ التأثر ببعض بقايا مفاهيم منظومة القيم الخلقية والتراثية (القومية ، والدينية) مثل الصدق ، والمكاشفة ، والوضوح ، وحسن الظن بالطرف الآخر ، والميل – بالتالى – إلى تصديقه وتقبل وعوده ، أملاً فى التزامه بالوفاء بها .. الخ،فمتروك إلى صفحات أخرى .

أذكر أن صلاح الدين الأيوبى – رحمه الله – قال : إن المؤمن لا يكفر بأخلاقه ، أى لا يتنكر لها ، ولو أفاد منها الأعداء ..

لكنى أتساءل : إلى متى ، وإلى أى مدى ؟

لأن العرب – عامة – والفلسطينيين خاصة – باتوا لقمة سائغة فى فَمَىَ / فخَّىْ الاستعمار الغربى ، وحليفه الصهيونى ، ولأن الصيد العرب بات

شهياً – بين فكى هذين العدوين – إلى درجة الإلتهـام ، فـلا غرابـة أن تستخدم هذه الدراسة بعض مصطلحات قاموس (مطبخ) التآمر السياسي ، وبعض مفردات ما يدور من حديث ، تحت (مائدته) وفوقها .

إنهـم – أعـداءنا – (يقضـمون) أرضـنا ، و(يبتلعـون) هويتنـا ، و(يهضمون) حقوقنا ، ولا يتركون إلا (الفتات) .

ومما يزيدنا ألماً ومرارة ، أن بعض (الطهاة) ، و(رعاة الخدمة) ، فـى ذلك المطبخ ، وحول تلك المائدة ، هم من بنى جلدتنا .

ولك أن تتمثل هنا قول شاعر حكيم آخر : وجرح ذوى القربـى أشـد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند .

المبحث الأول : خداع .. بخلطة التآمر والخيانة

تعاطى العرب هذه التركيبة من السم ، بجرعات مكثفة ، وعلى فتـرات منتظمة ، وهذا هو أول أسرار ، أو أسباب سقوطهم فى هوة إدمان تعاطى " الوقوع فى الفخ / الخطأ ذاته ".. مراراً .

*** الجرعة الأولى (باسم الثورة العربية الكبرى) ١٩١٦ :**

منذ بدايات العقد الثانى من القرن العشرين ، كان الضابطان فى الجيش التركى : المصرى (عزيز المصرى) والعراقى (نورى السعيد) يلهثان وراء بريطانيا ، لفتح قناة اتصال معها ، وتعرف نيتها تجاه احتمال قيـام دولـة عربية مستقلة – عن الخلافة العثمانيـة – وطلـب مسـاعدات الحكومـة

البريطانية ، السرية والعلنية ، فى هذا الشأن ، بل إن نورى السعيد عرض على الجانب البريطانى احتلال البصرة ! إذا كان ذلك بداية لتشجيع عمل عربى يحقق تحرير العرب ، وكانت الخارجية البريطانية – آنذاك – تعد تلك الأفكار خيالية وسقيمة ، فانتهت بريطانيا إلى تجميد مشروعات عزيز المصرى ورفاقه ، بل قررت ألا تسمح له بمغادرة مصر (٢) .

مع تعاظم النفوذ الألمانى فى العاصمة العثمانية ، وتزايد احتمال دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا – فى أواخر صيف ١٩١٤ – اتجهت بريطانيا نحو استغلال الحركة القومية العربية ، ذات الأهداف الاستقلالية عن تركيا،وبدأ الإنجليز الاتصال بالشريف حسين – أمير مكة – بقصد استمالته،وكسب العرب إلى جانبهم،وألمحوا له بميل بريطانيا نحو تأييد إعادة الخلافة إلى "عربى من الدوحة النبوية"،وتحديداً هو الشريف حسين.

بعد تردد ، ومراجعات بين الجانبين ، تم التوصل إلى تفاقهم عربى / بريطانى ، يعلن العرب ، بموجبه ، الثورة على تركيا (الخلافة) ، بينما تلتزم بريطانيا بالاعتراف بخليفة عربى للمسلمين ، والاعتراف بدولة عربية مستقلة ، ضمن حدود تم الاتفاق عليها ، أيضاً ، فكان أن أعلن الشريف حسين ثورته على الخلافة ، فى الخامس من يونيو / حزيران ١٩١٦ .

قبل أن يجف مداد مراسلات حسين / مكماهون الشهيرة فى هذا الصدد ، كانت الحكومتان البريطانية والفرنسية قد دخلتا فى مفاوضات ثنائية لاقتسام مناطق نفوذهما فى الولايات العربية الخاضعة للحكم العثمانى ، وبذا ضربت بريطانيا عرض الحائط ، بالتزاماتها ، ووعودها ، بشأن الاعتراف باستقلال العرب فى تلك المناطق ، ووقعت الحكومتان المذكورتان اتفاقية سايكس / بيكو الأكثر شهرة ، فى عام ١٩١٦ .

هكذا ، و(من وراء ظهر العرب) جاءت اتفاقية سايكس بيكو السرية مثالاً للمكر والخداع ، فى سياسة الاستعمار الغربى ضد (الشعوب) العربية [٣] ولم يعلم العرب باتفاق سايكس بيكو إلا عندما أعلنه البلاشفة ، بعد قيام ثورتهم ، فى روسيا (١٩١٧) [٤] .

والطريف المبكى ! أنه برغم تأكد العرب من أن اتفاق سايكس بيكو قد أهمل تأسيس خلافة عربية ، وأنه قد أعطى جزءاً من أراضى تلك الدولة المنتظرة إلى فرنسا ، فقد مضوا فى ثورتهم بعد (الحصول على طمأنات) أخرى من البريطانيين .

ولم يفق العرب من أوهامهم تلك إلا بعد أن أصدرت بريطانيا " تصريح بلفور " فى نوفمبر / تشرين الثانى ١٩١٧ ، الذى تعهدت فيه بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ثم كانت صدمتهم الأكبر فى انعقاد مؤتمر سان ريمون فى أبريل / نيسان ١٩٢٠ ، الذى تقرر فيه وضع القطاع العربى

الشمالى ، الممتد من البحر المتوسط إلى فارس (إيران) ، تحت الانتداب ، إذ أعطيت بريطانيا الانتداب على العراق ، وفلسطين ، وشرق الأردن ، وأعطيت فرنسا الانتداب على سوريا ، ولبنان (٥) .

اتضحت بذلك أهداف بريطانيا الكامنة وراء تشجيعها على الثورة العربية،وكيف وظفت بريطانيا تلك الثورة لحساباتها السياسية والعسكرية .

لم تتكبد بريطانيا المشقة البالغة ، ولا الجهد الأكبر ، فى نصب ذلك الفخ للإيقاع بالعرب فيه، إذ أغراها بذلك ، وسهّل عليها تلك المهمة ، ما لمسته من استعداد – لدى أبرز قيادات الثورة العربية الكبرى – فى اتجاه الخيانة والتنازل والتفريط .. التفريط فى الأرض على وجه التحديد .

سبق أن عرض نورى السعيد على البريطانيين أن يحتلوا البصرة ، ثم كان الشريف حسين هو الذى وضع حجر الأساس لدولة إسرائيل (٦) ، ثم سلم فيصل بن الحسين فلسطين – كاملة – إلى اليهود (٧) .

بل إنه بينما كان فيصل هذا يحارب الأتراك فى شرق الأردن ، استطاع اللورد اللنبى أن يدخل القدس ، وانتهت تلك المحنة ، بدخول الشرق العربى كله فى مرحلة الاستعمار الأوربى (٨).

* **الجرعة الثانية (باسم حُسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية) :**

مرت القضية الفلسطينية ، ومكائد الإنجليز للعرب ، وحركتهم القومية بأدوار بارزة ، كان كل منها ينتهى بكيد أو مكر ، أو نكث .

فى ١٩٣٠ نكث الإنجليز بعهدهم الذى قطعوه فى " الكتاب الأبيض " ، الصادر نتيجة ثورة البراق – صيف ١٩٢٩ – وتقارير لجنتى (شو ، وسمبسون) ، إذ ، فى تفسير لاحق لما جاء فى الكتاب المذكور ، نسخ رئيس الوزراء البريطانى ما تضمن ذلك الكتاب من وعود وتطمينات للعرب ، خاصة فى شأن الهجرة والأراضى (٩) .

كذلك فى خريف ١٩٤٧ نقض الإنجليز سياسة الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ ، الموافق عليه من برلمانهم ، وفتحوا باب الهجرة ، الذى كانوا قد تعهدوا بسده ، تماماً (١٠) .

ما بين هذين الغدرين ، أو النكثين البريطانيين بالعهود والوعود والتطمينات ، كان هناك الطريف / السخيف / المبكى من جانب الزعماء العرب ، إذ نجدهم يمضون فى تصديقهم أو منح ثقتهم للكذوب اللعوب .. صديقتهم الحكومة البريطانية !

إنفجرت الثورة الفلسطينية الكبرى في إبريل/ نيسان ١٩٣٦وبنهاية الشهر نفسه تألفت " اللجنة العربية العليا" ناظمة جهود اللجان القومية ، واندمجت جميع الأحزاب فى اللجنة المذكورة .. تواصلت واتسعت دائرة أحداث الثورة من جهة ، وتواصل الحديث عن الوساطة لإيقافها من جهة أخرى ، حتى كانت النداءات الصادرة عن ملوك السعودية والعراق ،

واليمن ، وأمير شرق الأردن – فى أكتوبر / تشرين الأول ١٩٣٦ – بنص واحد تقريباً : " حضرة رئيس اللجنة العربية العليا ، إلـى أبنائنـا عـرب فلسطين ،ندعوكم للإخلاد إلى السكينة ، حقناً للدماء ، معتمدين على حُسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية،ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل" [١١].

وافقت " اللجنة " على تلبية نداء أصحاب النداالة ملوك العرب ، وأوقفت الإضراب ، غير أن الإنجليز لم يفعلوا شيئاً ، واستمرت الهجرة ، فعـادت نيران الثورة تتأجج ،،حتى اضطرت الحكومة البريطانية – بعد عقد مؤتمر دولى فى لندن ١٩٣٩ – إلى إصدار ما عرف بالكتاب الأبيض (١٩٣٩) ، وهو ما تم نقضه – أيضاً – كما سبقت الإشارة .

* **الجرعة الثالثة (باسم الهدنة لفك الحصار عن اليهود) :**

كانت الأحداث قد تطورت – عقب صدور قرار التقسيم (١٩٤٧) – إلى مواجهة مسلحة كبرى، وأعلنت بريطانيا أنها سوف تنهى الانتـداب علـى فلسطين ، فى ١٩٤٨/٥/١٥ ، أى قبل شهور عدة من الموعد المقرر فـى مشروع هيئة الأمم المتحـدة لاسـتقلال الـدولتين العربيـة واليهوديـة (١٩٤٨/١٠/١) ، ومع إعلان بريطانيا الانسحاب من فلسـطين ، وعجـز الأمم المتحدة عن أن تحل محل بريطانيا ، كسلطة حاكمة فعليـة ، بـادرت الحركة الصهيونية إلى السيطرة على إقليم الدولة اليهودية الناشئة [١٢] .

فى فجر ١٩٤٨/٥/١٤ تركت السلطات البريطانية الانتدابية القدس ، وفى اليوم نفسه ، أعلن اليهود قيام دولة إسرائيل ، وبدأوا هجوماً شاملاً ، وفى القدس دارت أقسى المعارك وأشدها ، منذ اليوم الأول ؛ إذ كانت المدينة المقدسة هى المحور الأساسى،الذى دارت حوله الحرب كلها، واستولى اليهود على المناطق التى كان يعيش فيها العرب واليهود،ثم تلك التى كان يقطنها العرب فحسب،ولم يتوقفوا،إلا عند حدود المدينة القديمة (١٣) .

برغم كل الثغرات والعثرات ، فإن الجيوش العربية ، حينما دخلت فلسطين ، فى ١٩٤٨/٥/١٥ ، حققت انتصارات معتبرة : فالقوات المصرية حققت نجاحات ملموسة فى القطاع الجنوبى ، وتقدم الجيشان العراقى والأردنى قليلاً ، كما تمكن الجيش السورى و"جيش الإنقاذ" من السيطرة على معظم الجليل ، ولم يكن الجيش اللبنانى بعيداً عن عكا ، غير أن مجلس الأمن سرعان ما أصدر قراره ، فى ١٩٤٨/٥/٢٢ ، بوقف إطلاق النار ، لمدة ٣٦ ساعة ، فرفضت الدول العربية ذلك القرار ، عندئذ مارست الولايات المتحدة وبريطانيا ضغوطاً مشددة ، مصحوبة بتهديدات للحكومات العربية ، وتقدم الوفد البريطانى فى مجلس الأمن بطلب جديد لوقف إطلاق النار ، لمدة أربعة أسابيع ، وضبط تدفق المتطوعين والسلاح إلى فلسطين ، إبان تلك الفترة .

وفى ١٩٤٨/٦/٢ أبلغت الدول العربية مجلس الأمن موافقتها على ذلك القرار ، فيما عرف بالهدنة الأولى ، التى أفادت منها القوات الصهيونية ، إفادة كبيرة ، فعززت من قدراتها القتالية، وأمـدتها بريطانيـا والولايـات المتحدة بالسلاح ، فى شتى التخصصات ، ثم حاولت الحركة الصـهيونية تمديد الهدنة شهراً آخر ، لمزيد من الاستعدادات ، لكنهـا فشـلت ، إثـر اغتيال الوسط الدولى ، الكونت برنادوت (١٤) .

كذلك ، برغم استيلاء اليهود على غرب القدس ، فى حـرب ١٩٤٨ ، فقد استطاعت القوات العربية أن تحاصر المدينة ، بالتحكم فى كل مداخلها ، وحوصر اليهود ، وأصبح سقوط القدس فى يد العرب أمراً حتمياً ، فـى غضون أيام (لولا) التدخل السافر من جانب الأمم المتحدة ، لصالح اليهود ، بتوقيع اتفاق لوقف إطلاق النار ، الأمر الذى لم يغفره العرب للمنظمـة الدولية، إذ به تم فك حصار اليهود ، دون أن يجنى العرب منه شيئاً ، غير الآثار السلبية ، حتى اليوم (١٥) .

جاءت تلك الهدنة بناء على مبادرة من الوسيط الـدولى ، برنـادوت ، فأجابه بالموافقة رئيس الحكومة المصرية ، نيابة عن الحكومات العربية ، وتعين لها أن تبدأ فى ١٩٤٨/٦/١١ ، لمدة أربعة أسابيع ، وتـتم تحـت إشراف برنادوت نفسه ، فكان أن لعبت المنظمة الدولية والإنجليز، إبـان

تلك الهدنة ، الدور الأكبر فى عدم إمـداد الجيـوش العربيـة ، وعرقلـة تسليحهم ، وعلى الجانب الآخر كان ما سبقت الإشارة إليـه مـن تسـليح الجيش الصهيونى ، إلى ذلك ، تم تسليم ميناء حيفا لليهود (١٦) .

المبحث الثانى : خداع بنكهة الغموض المتوازن :

" الغموض المتوازن " .. هذا هو تعبير المندوب الأمريكى الأسبق فـى الأمم المتحدة – جولد بيرج – وقد كان – ذلك التعبير – هو أداة الخارجية الأمريكية للخداع والتدليس والتآمر – ضد الحقوق العربية – فـى ميـدان الدبلوماسية ، بعد أن أبلت الولايات المتحدة (بلاءً حسناً) ضدنا فى الميدان العسكرى ، فى حرب ١٩٦٧ .

كما شهد أحد كبار الدبلوماسيين المصريين (*) ، وقد عمل سفيراً لمصر فى الولايات المتحدة، فقد كان " الموقف المتآمر للرئيس جونسون سـبباً مباشراً لما حدث لنا فى ١٩٦٧ " .

ولأن السيد محمود رياض – وزير خارجية مصر آنذاك – كان شاهد عيان ، على وقائع المعركة الدبلوماسية فى أروقة هيئـة الأمـم المتحـدة ، فـإن مذكراته (١٧) ، هى مصدرنا الأساسى ، فى محاولة كشف أبعاد وزوايا مشهد (الخداع ، بنكهة الغموض المتوازن) ، الذى تمـت فيـه حبكـة المـؤامرة الأمريكية الصهيونية – على العرب – المشهورة باسم القرار ٢٤٢ .

* عبد الرؤوف الريدى ، فى حديث لقناة " النيل للأخبار " .

*** أول خيوط المصيدة :**

فى بداية نوفمبر / تشرين الثانى ١٩٦٧ أرسل جولد بيرج إلى محمود رياض – فى نيويورك– مشروع قرار أمريكى ، خاص بالنزاع فى الشرق الأوسط ، ورد فيه – بشأن الانسحاب الإسرائيلى من الاراضى العربية المحتلة – : " إن مجلس الأمن يؤكد أن تحقيق المبادىء السابقة من الميثاق يتطلب تحقيق حالة من السلام ، الدائم والعادل ، فى الشرق الأوسط ، تشمل انسحاب ، قوات مسلحة من أراض محتلة " .

تأمل معى غزارة التعبيرات الغامضة ، المحررة بصيغة النكرة ، والإبهام : " حالة من السلام/ قوات مسلحة / أراض محتلة " ! .

بداية فجة ، مسرفة ، متسلطة ، لتوظيف الولايات المتحدة آلية (الغموض) بهدف طمس ملامح الحق العربى ، بما ينتهى إلى تضييع أو تبديد هذا الحق .

هنا – أيضاً – بدأت المراوغة ، وبدأ نصب فخ الوعد الشفوى ، الخاص بالقرار ٢٤٢ ، موضوع هذه الدراسة .

راجع السيد محمود رياض المندوب الأمريكى ، مبيناً أن المشروع المطروح لا يحقق إزالة آثار حرب يونيو / حزيران ، ولا ينص على إعادة سيناء ، وقطاع غزة ، والضفة الغربية ، والجولان ، فأجابه : " ليست هناك مشكلة فى انسحاب إسرائيل ، بالكامل ، فمشروعنا يؤدى إلى تحقيق

ذلك ، حتى بغير نص مباشر أو صريح على ذلك ، لأن سيناء جـزء مـن مصر ، والضفة جزء من الأردن ، والجولان جزء من سوريا " .

رياض : هذه معلومات يتضمنها أى كتاب جغرافيا فى العالم ، ولكننـا هنا فى الأمم المتحدة، نتحدث بلغة السياسة ، ولـيس بلغـة الجغرافيـا ، فهناك احتلال قائم لأراضينا ، نتيجة العدوان الإسرائيلى ، ويجب أن نحصل على نص صريح بإنهائه ، ونحن مازلنا فى حاجة إلى توضيحات ، بل إلى تعديلات أساسية فى صياغة المشروع ، قبل أن نوافق عليه .

المندوب الأمريكى : لقد تقدمنا بالمشروع ، فعلاً ، إلى مجلس الأمـن ، وصدقنى عندما أقول لك إنه يعنى الانسحاب الإسرائيلى .

رياض : إذا لم يكن هناك نص صريح بانسحاب إسرائيل ، فإننـا لـن نقبله ، ولن يكون هناك قرار .

تأمل معى ، ثانية ، تعبيرات " فمشروعنا يؤدى إلى تحقيق ذلك حتى بغيـر نص صريح " و"صدقنى عندما أقول لك إنه يعنى " و" لقد تقـدمنا بالمشـروع ، فعلاً ، إلى مجلس الأمن " ! إذن ، لم يعد الأمر غموضاً فحسب ، بل بات أمـراً واقعاً !

على الجانب الآخر ، نلمس فى إجابات رياض – حتـى الآن – يقظـة ووعياً بأبعاد ما يرمى إليه المشروع الأمريكى ، وما تنطوى عليه إجابـات المندوب الأمريكى .

انعقد مجلس الأمن فى ١٩٦٧/١١/٩ ، لبحث الموقف فى الشرق الأوسط ، وكان أمامه مشروعان ، أحدهما المشروع الأمريكى ، والثانى تقدمت به الهند ، ونيجيريا ، ومالى ، وهو مستمد من مشروع سابق ، كانت مجموعة دول أمريكا اللاتينية قد تقدمت به إلى الدورة الطارئة للجمعية العامة ، عقب اندلاع القتال ، وينص على ضرورة الانسحاب الإسرائيلى الكامل ، من جميع الأراضى العربية المحتلة .

انعقدت الجلسة التالية ، فى الثالث عشر من الشهر نفسه ، وكان الاتجاه المؤيد للانسحاب الكامل من جميع الأراضى العربية المحتلة ، هو السائد ، بل إن مندوب الاتحاد السوفيتى طالب – أيضاً – بضرورة قيام إسرائيل بتعويض الأضرار التى ألحقتها – فى العدوان الأخير – بالدول العربية ، بينما كانت الولايات المتحدة لاتزال تصر على موقفها ، الذى لا يقر، اساسا ، بأن إسرائيل قد شنت عدواناً على البلاد العربية ، وكانت إسرائيل تصر على أن خطوط وقف إطلاق النار ، بعد حرب يونيو / حزيران ، لن تتغير ، إلا فى مقابل " حدود آمنة " ، و" معاهدات سلام تنهى حالة الحرب " مع الدول العربية .

تقدم الاتحاد السوفيتى بمشروع قرار فى الشأن ذاته ، فأصبح أمام المجلس ثلاثة مشروعات.

*** الملك حسين أول من مرر الخدعة :**

فى تلك الأثناء ، ذهب ملك الأردن إلى الولايات المتحدة ، واجتمع بالرئيس جونسون ، ثم التقى بالسيد محمود رياض ، وأخبره بأنه – ملك الأردن – قد تلقى تأكيدات من واشنطن بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة ، إذا قبل العرب المشروع الأمريكى، فكان رد رياض : " مع كل احترامى للتأكيدات الأمريكية ، فإننى مقتنع تماماً ، بأن جونسون لن يغير من سياسته المؤيدة للعدوان الإسرائيلى ، ولا يمكننى أن أقبل قراراً لا يشير ، بوضوح ، إلى عدم شرعية الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية ، وضرورة انسحاب إسرائيل من هذه الأراضى " ، فعاد حسين – ملك الأردن – يقول : " ولكننى أصدق تأكيدات الرئيس جونسون ، وهى تأكيدات أمريكية على أعلى مستوى، لا نستطيع الاستخفاف بها " .

وهكذا ، كان ملك الأردن هو أول من مرر ، أو قبل بالتأكيدات – الوعود الشفوية – الأمريكية، فى تلك المعركة الدبلوماسية ؛ إذ صدق تلك الوعود ورآها " أمريكية على أعلى مستوى ! ولا يمكن الاستخفاف بها " .

*** الدور البريطانى فى اعتماد آلية الغموض :**

استمرت المراجعات والمقابلات بين رياض وجولد بيرج . يقول رياض : وقد فوجئت بأغرب حجة سمعتها منه ، حين قال – بيرج – : إن الأمر قد يتطلب ، فى بعض الأحيان ، شيئاً من الغموض لتخطى بعض العقبات ، والمهم أن يكون هناك توازن فى الغموض " .

بناء على طلب من جولد بيرج ، كان المندوب البريطانى فـى مجلـس الأمن – اللورد كارادون– قد بدأ فى مهمة للتوفيق بين المشروع الأمريكى والمشروع المقدم من جانب الهند، ونيجيريا ، ومالى . ولأن كارادون كان على علاقة طيبة بالجميع ، وله خبرة سابقة بمنطقة الشرق الأوسط ، فهو أقدر من يقوم بمهمة التوفيق بين وجهات النظر المختلفة .

عرض كارادون نص مشروع القرار ، الذى توصل إليه ، على رياض ، فاستوقف الأخير نص الفقرة ١/ب : " انسحاب القوات الإسـرائيلية مـن أراض احتلتها فى النزاع الأخير " . وهنا قال رياض له : إننى بـالطبع ، سوف أتشاور بشأن هذا القرار مع زملائى العـرب ، ولكـن هنـا بعـض الأسئلة التى تراودنى من الآن ، منها – مثلاً – : لماذا كلمـة " أراض " ، وليست "الأراضى" فى الفقرة الخاصة بانسحاب القوات الإسرائيلية ، وهـل هذا معناه جلاء القوات الإسرائيلية من بعض الأراضى ، وليس كلها ؟ .

رد كارادون : بالقطع لا ، إن النص يعنى كل الأراضى ! وليس بعضـها ، بدليل النص فى مقدمة القرار على عدم مشروعية حيازة الأراضى عن طريق الحرب ، ولكن هذا النص باللغة الإنجليزية مأخوذ من المشروع الأمريكـى ! ثم إن كلمة " الأراضى " موجودة فى نص القرار باللغـات الرسـمية الأربـع الأخرى : (الفرنسية ، والروسية ، والإسبانية ، والصينية) .

وهنا السؤال : لماذا لم يفند السيد رياض هذا الرد الــواهى الملتــبس لكارادون ؟! ولماذا لم يصر – كما أصر سابقاً – على نص واضح الدلالــة فى تعيين " الأراضى " محل النزاع ، التى يجب أن تنسحب إسرائيل منهــا جملةً ، وليس من بعضها ، ولماذا لم يتساءل عن إصرار بيرج وكــارادون على تنكير لفظ " أراض " فى النسخة الإنجليزية ، بينما كان الواجب هــو توافق هذه النسخة مع نسخ اللغات الأربع الأخرى ، فى دلالات كل ما ورد بالقرار من مواد / عبارات / ألفاظ ، كما هو مقــرر فــى لائحــة النظــام الأساسى لمجلس الأمن .

ثم إن تقديم مشروع قرار ما بإحدى اللغات الرسمية الخمس ليس حجة يُتعلل بها ، إنما الذى يُحتج به ما ينتهى إليه المجلــس بعــد المناقشــات ويصبح قراراً ، وقد سبقت الإشارة إلى أن الاتجاه الغالــب والســائد فــى مناقشات مشاريع القرار (٢٤٢) كان فى جانب ضرورة انسحاب إســرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة فى عدوان ١٩٦٧ .

إن هذه نادرة محيرة ، أن تكون مناقشات المجلس فى اتجاه ما ، وتنتهى المناقشات إلى قرار يتبنى هذا الاتجاه – انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة – فيصدر هذا القرار بلغات أربع رسمية ، معتمدة فى وثائق المنظمة الدولية ، ويتم تمرير نسخة اللغة الخامسة غير متوافقة الدلالة مــع مضمون القرار باللغات الأربع الأخرى ! .

لا أستطيع القول بأن هذه الخدعة أو المؤامرة تمت بالغش أو التدليس ؛ لأنها تمت فى النور ، وبعلم الطرف المخدوع ، المتآمر عليه .

فما علتها ، إذن ؟

علتها إصابة العقل العربى بالآفة محل هذه الدراسة ، آفة " تكرار الوقوع فى الخطأ ذاته " ، آفة إدمان الوقوع فى فخاخ الوعود الشفوية الصادرة لنا من جانب أعدائنا .

كان ضمن وسائل تخدير العقل العربى – آنذاك – من جانب المندوبين الأمريكى والبريطانى فى الأمم المتحدة ، قول هذين المندوبين للسيد رياض: " إن هذا القرار هو للتنفيذ ، وأنه سيتم تنفيذه خلال ستة أشهر " ، ليوحيا إليه أنهما يقدمان له أداة تطمين ، أو أنهما قد أتوه بشىء جديد ، بينما كان كلامهم هذا هو مجرد " تحصيل حاصل " ، فهل ينعقد مجلس الأمن ليصدر قرارات ، إلا لكى يتم تنفيذ هذه القرارات .

وعندما بدأت المشاورات العربية / العربية بشأن مشروع القرار المذكور ، شدد بعض مندوبى الوفود على أهمية كلمة " الأراضى " بدلاً من " أراض " فى نص المشروع الإنجليزى ، بما يفيد أنهم على وعى وبينة بخطورة دلالة كلمة " أراض " ، وعندئذ طلب رياض من كارادون أن يحضر معه اجتماعاً بالوفود العربية ، ليرى بنفسه تساؤلاتهم واستفساراتهم ، وفعلاً تم ذلك فى مقر البعثة الأردنية .

هنا بدأت المسئولية الجماعية للأطراف العربيــة عــن خطــأ " تكــرار الوقوع فى فخ الوعود الشفوية " ، حيث إن ما دار بين رياض والمندوبين العرب من جانب ، وكارادون من جانب آخر ، لم يــتخط دائــرة التفــاهم الشفهى ، الذى قبلوا فيه بما أجابهم به كارادون ، بــرغم كــون إجاباتــه تنافى الدلالات الحقيقية للفظ " أراض " التى وردت بمشروع القرار ! .

" رياض : هل يعنى القرار انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية كاملة ؟

كارادون : نعم .

رياض : وسيناء وقطاع غزة ؟

كارادون : نعم .

رياض : ومرتفعات الجولان ؟

كارادون:نعم،وباختصار،القرار يعنى عودة إسرائيل إلى مواقع٤ يونيه ".

ذهب رياض إلى نائب وزير الخارجية الســوفيتى ، فــى مقــر الوفــد السوفيتى الدائم فى المنظمة ، وقال له : لقد (فهمنــا) مــن البريطــانيين والأمريكيين أن المشروع الذى قدمه كارادون (يعنى) الانسحاب الكامل من جميع الأراضى العربية ، فعل لديكم مثل هذا الفهم من الجانب الأمريكــى؟ فأجاب : نعم ، وعلى أى حال لدىّ فكرة ، إننا نســتطيع أن نتقــدم إلــى مجلس الأمن بمشروع سوفياتى جديد .

بالفعل ، تقدم السوفييت بمشروع جديد إلى جلسة ١٩٦٧/١١/٢٠ ، مستنداً إلى مشروع أمريكا اللاتينية ، غير أن اتصالات أخرى تمت ، آنذاك ، بين القيادتين السياسيتين ، الأمريكية والسوفيتية ، انتهت إلى أن موسكو لن تصر على مشروعها ، ولن يطلب السوفييت التصويت على هذا المشروع ، وأبلغ جولد بيرج رياض بذلك ، قبل الجلسة المذكورة .

هنا قال رياض لجولد بيرج : إننا سنتعاون مع ممثل الأمم المتحدة لتنفيذ القرار ، فى حالة واحدة ، وهى انسحاب إسرائيل الكامل ، وعدم حصولها على أى مكاسب إقليمية ، وأضاف : إننى بعد أن استمعت ، أكثر من مرة ، لتأكيداته بأن حكومته – الأمريكية – ستعمل وتلقى بثقلها لتنفيذ القرار ، فإننى أرى ضرورة إعلانه لهذا الالتزام ، أمام مجلس الأمن ، فوافق على ذلك .

جملة من التأكيدات ، والالتزامات ، والوعود الشفوية ، ذهبت أدراج الرياح ، كما ذهب من أصدروها ، ومن قبلوها .. وبقى القرار المعوج المضطرب ، فى صياغته ودلالته .

* <u>تصويت بالإجماع .. ثم شعور بالذنب :</u>

يقول رياض : أرسلت إلى القاهرة موضحاً التطورات الأخيرة فى الموقف ، وملخصاً النتيجة فى أن الجلسة التالية ، سيتم فيها التصويت على المشروع البريطانى – التوفيقى– الذى سبق أن أرسلت به إلى

القاهرة ، وقد وصلتنى موافقة عبد الناصر على قبولنا للمشـــروع ، فـــى ضوء كل المشاورات والتفسيرات ، والتأكيدات التى حصلنا عليها ، وذلـــك قبل جلسة ٢٢ نوفمبر / تشرين الثانى بساعات قليلة .

بدأت الجلسة بكلمة جورج طعمة – المندوب السورى – معلناً رفض بلاده للمشروع البريطانى؛بسبب خلوه من حد زمنى لتنفيذ الانسحاب الإسرائيلى .

وتحدث مندوبا الهند وأثيوبيا ، فأكدا على ضـــرورة التـــزام إســـرائيل بالانسحاب من كل الأراضى المحتلة ، والعودة إلى حدود مـــا قبـــل حـــرب يونيه / حزيران ١٩٦٧ .

ثم جرى التصويت لصالح المشروع البريطانى ، بالإجماع .

فى كلمات التعقيب تحدث مندوبو نيجيريـــا ، وفرنســـا ، والبرازيـــل ، واليابان ، ومالى ، ومصر، فكانوا جميعاً منطلقين من إحساسهم من عقدة الشعور بالذنب .. ذنب التصويت بالموافقة على قرار متضارب فى بنيته ، يؤكد فى مطلعه على عدم جواز حيازة الأرض بالقوة الحربية ، وفى إحدى فقراته يطالب إسرائيل بالإنسحاب من " أراض " فحســـب ، مـــن جملـــة " الأراضى " التى احتلتها فى عدوانها على البلاد العربية المجاورة .

لاحقاً ، تحدث محمود رياض عن هذا (الإنجاز) بكل فخر وراحة ضمير ! تحدث فى اجتماع مجلس الوزراء المصرى ، المنعقد عقب صدور القرار المذكور ، ثم تحدث أمام لجنة الشئون الخارجية بمجلس الأمة المصرى .

سأله عضو باللجنة المذكورة ، عن موضوع الحدود – بين مصر وإسرائيل – فأجابه: إنه بموجب القرار نعترف بالحدود الدولية لإسرائيل !

وسأله آخر : هل معنى القرار هو اعترافنا بإسرائيل ؟

فأجاب رياض : إننا اعترفنا بإسرائيل ، كأمر واقع ، عندما وقعنا معها اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ .

وبعد شروح مطولة حول القرار ، سأل أحد الإعلاميين السيد محمود رياض : هل كان كل ما نردده ، خلال السنوات الماضية ، خطأ ، إذن ؟! .

يقول رياض : أجبته ببساطة : نعم .

فور صدور القرار بالصيغة التى أرادتها الولايات المتحدة وبريطانيا أسرعت إسرائيل فأشهرت الخناجر ، والسهام المغمدة فيه .. ثم غرستها فى عنق القضية ، فهى لاتزال تنزف حتى اليوم .

وبينما كانت تحتج إسرائيل بـ (وثيقة) صادرة عن مجلس الأمن تجيز لها عدم الانسحاب ، من بعض الأراضى العربية المحتلة ، هى القرار ١٩٦٧/٢٤٢ ، لم يجد السيد محمود رياض ما يواجه به إسرائيل غير الوعود الشفوية ، التى كانت قد (تبخرت) ، كوعود شفوية استعمارية عديدة ، سابقة .

ثم راح ، وبقية العرب ، يحتجون بما لا يفيد ولا يجدى الاحتجاج به فى مواجهة نص قرار تم التصويت عليه ، وصدر ، بالفعل ، عن مجلس الأمن ..

راحوا يحتجون بالتفسيرات التى ذكرها ممثلو الوفود أثناء مناقشة مشروعات القرار ، ويحتجون بأن مندوب إسرائيل لم يعترض على تلك التفسيرات ، أثناء المناقشة ، وبأن دول العالم أعلنت ضرورة انسحاب إسرائيل إلى حدود ما قبل حرب يونيه / حزيران ١٩٦٧ .

فى الإسماعيلية ، وبعد عشر سنوات تقريباً ، دار حوار ساخن بين الجانبين المصرى والإسرائيلى ، تطرق إلى القرار ٢٤٢ ، فحاول بيجين التذكير بأن القرار المذكور يعطى لإسرائيل الحق فى الاحتفاظ بأجزاء من الاراضى المحتلة ، وأشار إلى أنه - بيجين - كان قد شارك فى صياغته ، و على الجانب الآخر كان د. عصمت عبد المجيد مندوب مصر فى الأمم المتحدة ، يحتج بما نص عليه القرار - أيضاً - من عدم جواز اكتساب الأراضى عن طريق القوة (١٨) ، وبالطبع فإن مثل هذه المواجهة / المناطحة القائمة على المواد المتضاربة المتباينة الدلالة لا تجدى .

وبالطبع - أيضاً - يميل طرفا النزاع - فى مثل هذه المواجهات - إلى الهروب إلى ميدان آخر،هو الطعن المتبادل،فيما هو بعيد عن جوهر الخلاف .

يقول عبد المجيد (١٩) : وحاول بيجين إخفاء ضيقه من هذه المداخلة التى أدت إلى إغضابه، وهاجم بعد ذلك " البيروقراطية المصرية فى وزارة الخارجية " .

ويضيف : " يتميز بيجن بالقدرة على تحوير الأمور والحقائق التاريخية والسياسية ، ولعل خلفيته القانونية وطبيعته المتعالية تجعلانه يستغل ذلـك ، معتقداً أن من يحاوره ليست لديه دراية أو قدرة على المحـاورة ، أو أن عليه أن ينبهر بشخصيته ، وقد ذكـر لـى ، علـى سـبيل المثـال فـى الإسماعيلية ، فى معرض حديثه أنه شارك فى وضع نص قـرار مجلـس الأمن ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ ، وهذا أمر غير حقيقى بـالطبع ، لأن المعروف أن واضع هذا القرار هو اللورد كارادون المندوب البريطانى ، الـذى وصـف القـرار لاحقـاً بأنـه مبنـى علـى الالتبـاس البنـاء (constructine ambiguity) وهو مـا يميـز الأسـلوب الدبلوماسـى البريطانى ، وقد شارك فى وضع مشروع القرار المندوب الأمريكى حينذاك ، لدى الأمم المتحدة ، آرثر جولد بيرج ، ولم يكـن لبـيجن أى دور مـن قريب أو بعيد ، ومع ذلك ادعى فى الإسماعيلية أمامى أنـه شـارك فـى صياغته " .

المبحث الثالث : خداع بمفرمة عملية السلام :

لماذا لم يتم تفعيل أى من مقررات الشرعية الدولية الخاصـة بمشـكلة الشرق الأوسط ؟

كيف تم تنفيذ مخطط انتزاع المشكلة المذكورة من تحت مظلة الشرعية الدولية ؟

لماذا حلت شرعية التفاوضية الثنائية محل الشرعية الدولية الأممية ؟

إن انتزاع قضية الصراع العربى – الإسرائيلى – عامة – والقضية الفلسطينية – خاصة – من تحت مظلة الأمم المتحدة ، أى الشرعية الدولية ، لم يكن مؤامرة دولية – استعمارية غربية – خالصة ، بل أسهم فى ذلك أطراف عربية ، أقبلت على توقيع اتفاقيات سلام ثنائية ، جعلت مرجعيتها هى نتائج المفاوضات الثنائية ، وليست مقررات الشرعية الدولية (٣٠) .

كانت مصر أول من خرق وأبطل قيمة القرار ١٩٦٧/٢٤٢ ، عندما وقعت صلحاً منفرداً مع إسرائيل ، خارج إطار الأمم المتحدة ، واعتبرت أن المفاوضات الثنائية هى التى تحدد الحقوق والواجبات .

وكذلك ، ظهرت " اتفاقية أوسلو " ، ونصت على إحالة أى خلاف فى التفسير إلى مفاوضات ثنائية ، تبحثه ، وتعمل على حسمه .

ومن الطريق ذاته – المفاوضات الثنائية – ظهر اتفاق " وادى عربة " بين الأردن وإسرائيل. ثم تبنت الاتجاه ذاته سوريا ، فمنذ توقف مفاوضاتها مع إسرائيل ، وهى تطالب بتنفيذ ما أسمته (وديعة رابين) .

<u>* الوعود الشفوية فى كامب ديفيد :</u>

فى خريف ١٩٧٧ أعلن الرئيس السادات أمام البرلمان المصرى ، أنه سيذهب إلى القدس ، بحثاً عن السلام ، إذا وجهت إليه الدعوة . وبالفعل ،

فى ١٩٧٧/١١/١٩ ، هبطت طائرته فى مطار بن جوريون بتل أبيب . فى اليوم التالى ، أدى صلاة عيد الأضحى بالمسجد الأقصى، ثم زار كنيسة القيامة ، وعرج على النصب التذكارى لضحايا الهولوكست ، ثم وضع إكليلاً من الزهور على نصب تذكارى آخر للجندى المجهول الإسرائيلى ، ثم بدءاً من الرابعة مساء اليوم نفسه ، وعلى مدى ٥٧ دقيقة ، ألقى خطابه الشهير ، أمام الكنيست ، معلناً : " إننا نوافق على العيش معكم ، لقد أصبحت إسرائيل أمراً واقعاً ، يعترف به العالم العربى " .

استطاع السادات أن يتخطى أشد مظاهر الرفض قسوة ، عربياً وإسلامياً ، وبحلول سبتمبر /أيلول ١٩٧٨ استطاع الرئيس الأمريكى كارتر ، أن (يأسر) كلاً من الرئيس المصرى ورئيس الوزراء الإسرائيلى بيجن ، فى غابات ميرلاند ، وطوال ثلاثة عشر يوماً ظل الزعماء يتشاورون ، داخل حجرات كامب ديفيد الريفية ، وبينما العالم يترقب فى الخارج ، كان كارتر يقوم بدور (القابلة) فى عملية ولادة متعسرة ، وكادت تلك المفاوضات أن تنهار ، وأعلن السادات أنه سيعود أدراجه غير أن كارتر (أقنعه) بالبقاء .

لماذا ؟

لأنه كان – كما أعلن – يتفاوض بشأن كامل الأرض العربية ، وقضية القدس .

فى السابع عشر من الشهر نفسه ، أعلن كارتر التوصل إلى اتفـاق .. كان ذلك الاتفاق محدداً واضحاً فيما يتعلق بالقضية المصرية ، ولـم يكـن ثمة ذكر للقضايا العربية الأخرى : إعادة الضفة الغربية ، وقطاع غـزة ، والقدس ، والجولان ، وتجميد الاستيطان ، وكان هناك اتفـاق غـامض ، تتعهد إسرائيل بمقتضاه بإجراء محادثات للحكم الذاتى مع سـكان الضـفة الغربية ، وقطاع غزة ، وتجميد بناء المستوطنات ، مع تقدم المفاوضات ، غير أنه ، فى اليوم التالى ، تراجع بـيجن عـن تعهـده بتجميـد بنـاء المستوطنات (٢١) .

وفى ١٩٧٩/٣/٢٦ وقع كل من السادات وبيجين – فى البيت الأبـيض – معاهدة للسلام بين مصر وإسرائيل ، برعاية كارتر ، غيـر أنـه بعـد عامين اثنين ، فتر الكثير من الحماس لدى السادات ، وأخفقت التلميحـات العامة – الوعود الشفوية – فى منع إسرائيل من دمج القدس فى الدولـة الصهيونية (٢٢) .

*** الوعود الشفوية فى أوسلو :**

عقب صدور إعلان قيام الدولة الفلسطينية – الجزائـر ١٩٨٨ – ومـا تضمنه من اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بقرارات الأمم المتحـدة ، وبالتالى الاعتراف بدولة إسرائيل ، بدأت اتصالات شاقة ، سرية وعلنية ، بين المنظمة المذكورة وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، كان الهدف منها

– أساساً – الحصول على اعتراف صريح من المنظمـة بـالقرارين ٢٤٢ و٣٣٨ ، وهذا ما فعله عرفات ، فى مؤتمر صحفى فـى ١٩٨٨/١٢/١٤ ، فى جنيف .

استمر الحوار ، واتسعت دائرته ، وتعددت أطرافه ، وأماكن إجرائه .. ثم كانت صدمة المنظمة شديدة ، عندما اكتشفت أن الذين كـانوا يلحـون عليها من أجل الاعتراف بالشرعية الدولية ، والقرار ٢٤٢ ، تحديداً ، لـم يكن هدفهم إنصاف الشعب الفلسطينى ، بل كان انتزاع هذا الاعتراف ، ثم توظيف المنظمة كشاهد زور على عملية تصفية القضية الفلسطينية ، مـن خلال مفاوضات ثنائية ، تمثل نتائجها مرجعية بديلة عن مرجعية الشرعية الدولية (٢٣) .

لم يكن ممكناً التوصل إلى اتفاق فى أوسلو ، إلا بتأجيل كـل القضـايا الأساسية ، حتى مفاوضات المرحلة النهائية ، فكـان أن تأجلـت قضـية الاستيطان ، إذ إن إسرائيل لو قبلت وقف الاستيطان لكان ذلك يعنى – من وجهة نظرها – أن مشروع " أرض إسرائيل " بدأ ينكمش ، بدل أن يتسـع ، ولم يكن رابين – رئيس وزراء إسرائيل آنذاك – ليقبل بذلك ، فـى ظـل مقاومة الإسرائيليين لـ " أى اتفاق " مع الفلسطينيين ، سواء فـى ذلـك الإسرائيليون المؤمنون بالدعاوى التوراتيـة ، أو المتعصـبون للعقيـدة

الصهيونية ، أو أصحاب الرؤى والمصالح فى إسرائيل ، ابتداء من المستوطنين إلى العسكريين [٢٤] .

أعطى رابين – إذن – وعوداً شفوية للجانب الفلسطينى بوقف الاستيطان ، ورفض أن يوقع معهم إلتزاماً مكتوباً بذلك ، متعللاً بأن ذلك يهدد بسقوط حكومته ، ولم تحل وعود رابين الشفوية – بعد ذلك – دون استمرار الاستيطان [٢٥] .

وكما تؤكد الأرقام ، فإن حجم ومعدل حركة الاستيطان الصهيونى فى أرض فلسطين المحتلة ، قد تزايدا ، فى ظل (عملية السلام) .

*** بوش (الصبى) ينكث وعوده الشفوية أيضاً :**

لسنا بحاجة إلى التنقيب فى بطون المراجع والدوريات المتخصصة ، لجمع مادة علمية توثق لوعد الرئيس الأمريكى بوش الابن بقيام دولة فلسطينية بحلول العام ٢٠٠٥ ، فهذا الوعد الزائف لايزال رنينه يتردد بآذاننا . ولأن بوش هذا حفيد الكذابين المتآمرين ناقضى العهود، فلا غرابة أن يسلك مسلك آبائه وأجداده معنا . لكن اللوم والمؤاخذة ، كل اللوم والمؤاخذة يقع فى جانب الذين تلقفوا ذلك الوعد من قادتنا وزعمائنا ، وتعلقوا به ، فإذا هو خيط بال ، ووعد كاذب ، وفخ جديد .

" جورج بوش الابن بيخدع الزعماء العرب .. بيضحك عليهم ، مش هو اللى قال إن الدولة الفلسطينية هتقوم عام ٢٠٠٥ ، وبعدين قال عام

٢٠٠٩ .. وبينما عملية السلام متوقفة ، منذ يوليو / تموز ٢٠٠٠ ، بيقول إنه بيرعى السلام ! " .

كان بودى أن أختم دراستى بهذا التصريح لأحد كبار أساتذة العلوم الاستراتيجية – اللواء صلاح الدين سليم – لكن كلمات السيد عمرو موسى – بصفته الأمين العام لجامعة الدول العربية – تفرض نفسها هنا ، أيضاً ، إذ بعد أن قال (انضحك علينا) أعلن رسمياً ، موت عملية السلام ، فى ٢٠٠٦/٧/١٥ ، وأقر بأن آليات (الوساطة) و(الرباعية) و(خارطة الطريق) كانت (منومة ، ومخدرة ، وخادعة) .

الهوامش والمراجع :

١ – أحمد رائف ، الخيانة العربية الكبرى – كتاب الهاشميين الأسود من الشريف إلى الملك، ط١ ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٩٢ ، ص٢٧.
٢ – محمد حسنين هيكل ،المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل – الكتاب الأول ، ط٨ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٩ ، ص ص ٨٦ – ٩١ .
٣ – د. عبد الوهاب الكيالى ، تاريخ فلسطين الحديث ، ط١٠ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٠ ، ص ص ٧٢ – ٧٨ . و: محمد عزة دروزة ، القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها ، ج١ ، دمشق ، دار يعرب ، د.ت ، ص ص ١٧ – ٢٠ . و: هيكل ، المرجع السابق ، ص ص ٩٢ – ١١٢ .
٤ – مصطفى عاشور ، الثورة العربية .. وعود وخداع ، فى ركن (حدث فى العام الهجرى – ثورات وحركات) على موقع : Islamonline.net .
٥ – المرجع السابق . و: قدرى قلعجى ، الثورة العربية الكبرى ، ط١ ، بيروت ، د.ن ، ١٩٩٣ .
٦ – راجع التفاصيل ، فى : رائف ، م.س .
٧ – راجع التفاصيل ، فى : هيكل ، م. س ، ص ص ١١٨– ١٢١ .
٨ – عاشور ، م.س .
٩ – دروزة ، م.س ، ص ص ٦١ – ٧٥ ، و: الكيالى :.م.س ، ص ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .
١٠ – دروزة ، م.س ، ص ص ٢٤٤ – ٢٥٦ ، ج٢ ، ص ص ٣٥ – ٤٥ . و: الكيالى ، م.س ، ص ص ٣٠١ – ٣٠٤ .
١١ – هيكل : م. س ، ص ٣٢ . و: الكيالى ، م.س ، ص ص ٢٦٠ – ٢٨٠ ، و: محمد عبد العاطى ، المقاومة الفلسطينية .. ثورة الإنسان والحجر ، ركن (المعرفة – ملفات خاصة) على: الجزيرة نت ، فى ٢٠٠٦/٥/١٧ .
١٢ – د. محمد إبراهيم منصور (تحرير) ، القدس – التاريخ والمستقبل ، أسيوط ، دار النشر والتوزيع بجامعة أسيوط ، ١٩٩٧ ، انظر : هانى الحورانى ،

القدس فى القرارات الدولية والسياسات الإسرائيلية بين عهد الانتداب ومسيرة التسوية ، ص ص ٤٩٢ – ٤٩٣ .
١٣ – جاك رينيه ، القدس ١٩٤٨ ، ترجمة وتقديم نبيل سعد ، القاهرة ، دار أخبار اليوم ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦٣ .
١٤ – عبد العاطى ، م. س .
١٥ – رينيه ، م.س ، ص ٦٣ .
١٦ – هيكل ، م.س ، ص ٢٧٤ . و: دروزة ، م.س ، ج٢ ، ص ص ١٥٨ ، ١٨٤ .
١٧ – محمود رياض ، مذكرات محمود رياض (١٩٤٨ – ١٩٧٨) ، ط٢ ، القاهرة ، دار المستقبل العربى ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٤١ – ١٦٨ .
١٨ – د. عصمت عبد المجيد ، زمن الانكسار والانتصار ، ط١ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٨ ، ص١٦٢ .
١٩ – المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، ١٦٧ .
٢٠ – د. إبراهيم إبراش ، قرارات الشرعية الدولية حول القضية الفلسطينية بين التآمر الخارجى والتقصير العربى ، رؤية (غزة) ، عدد ١٢ ، سبتمبر / أيلول ٢٠٠١ ، موقع هيئة الاستعلامات الفلسطينية على شبكة المعلومات الدولية .
٢١ – ساندار مكى ، الملفات السرية للحكام العرب ، القاهرة ، الدار العالمية للكتب والنشر، ١٩٩٩ ، ص ص ٦٦ – ٦٧ .
٢٢ – المرجع السابق ، ص ص ٦٨ – ٧١ .
٢٣ – أبراش ، م.س .
٢٤ – هيكل ، م.س ، الكتاب الثالث ، ط٣ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٦ ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
٢٥ – طاهر شاش (السفير) ، تعقيب بعد محاضرة عامة فى المؤتمر السنوى الحادى عشر للبحوث السياسية، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ٦-٨/١٢/١٩٩٧ .
٢٦ – برنامج (المشهد) ، قناة " النيل للأخبار " ، ١٩/٧/٢٠٠٦ .